

كوباك مسار تعاونية تحولت إلى شركة كبرى



مشروع الاقتصاد البديل في المنطقة العربية (مصر والسودان والمغرب وتونس ولبنان) (2024)

منتدى البدائل العربي للدراسات الاجتماعية

كوباك مسار تعاونية تحولت إلى شركة كبرى

ورقة تجارب

كتابة: حسن بومهدي

مراجعة: عمر سمير

مراجع اللغة العربية: أحمد الشبيني

تصميم: محمد جابر

مدير/ة المشروع: ناصف براهيم

1. لمحة عن التعاونيات في المغرب

يحظى عمل التعاونيات في المغرب باهتمام رسمي كبير. حيث احتل قسماً كبيراً من وثيقة «تقرير لجنة النموذج التنموي الجديد» الصادرة في إبريل 2021، بعد مشاورات موسعة قادتها لجنة عينها الملك. كما أصدر المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي [مؤسسة دستورية ذات مهام استشارية نصبها الملك سنة 2011] تقريراً خاصاً حول الموضوع. أشار التقرير إلى أن العمل التعاوني معترف به رسمياً منذ سنة 1958، إلا أن «ظهور القطاع في صورة منظمة ومهيكلية يرجع إلى بداية الألفية الثالثة»¹.

سنة 2014 صدر القانون المنظم لعمل التعاونيات في المغرب، وعرف التعاونية كالآتي: «مجموعة تتألف من أشخاص ذاتيين أو اعتباريين أو هما معاً اتفقوا أن ينضم بعضهم إلى بعض لإنشاء مقاولة تتيح لهم تلبية حاجياتهم الاقتصادية والاجتماعية». وتنقسم التعاونيات حسب نفس القانون إلى ثلاثة أصناف:

1. تعاونيات يزودها أعضاؤها بمنتجات قصد بيعها للأغيار بعد تحويلها، أو بخدمات قصد تقديمها إليهم.

2. تعاونيات إنتاج المواد أو تقديم الخدمات لفائدة أعضائها.

3. تعاونيات تقدم عملاً مأجوراً لفائدة أعضائها².

توسع العمل التعاوني بشكل كبير. بلغت الأرقام حسب «تقرير لجنة النموذج التنموي الجديد» الصادر في إبريل 2021: «27.262 تعاونية ومنخرطوها الذين بلغ عددهم 563.000»³، بعد أن كان في سنة 2013 «12.022 تعاونية تضم 440.372 متعاوناً»⁴.

ستتناول هذه الورقة موضوع التعاونيات بالمغرب، بالتركيز في «تعاونية كوباك» عبر تحليل نقاط القوة والضعف والفرص والتحديات التي يواجهها العمل التعاوني

2. كوباك - البدايات والتطور

تأسست تعاونية كوباك سنة 1987 انطلاقاً من بلدة صغيرة جنوب المغرب هي آيت إيعزة التابعة إدارياً لمدينة تارودانت. وتعتبر أول تعاونية بالمغرب وثاني منتج للحليب ومشتقاته حيث تستحوذ على 25% من السوق، كما تُعد ضمن الخمس الأوائل في المغرب في مجال الصناعات الغذائية

قدمت «مجلة كوباك» في عددها الأول الصادر في إبريل 2018 محطات تأسيسها كالآتي:

المحطة الثالثة 1989

أهم ما ميز هذه المحطة هو الزيارة التي قام بها مجموعة من أعضاء التعاونية لصناعة «الضوايح» في يناير 1989 هذه الزيارة التي برهنت للفلاحين بأنه بإمكانهم أن يصلوا إلى نتيجة مهمة شريطة توحيد القطيع حيث يمكن أن تتحقق نفس النتائج بواسطة إيفارات مستوي ورشي شعيف. وهناك ليست فكرة استيراد الإفارات من الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت معروفة والمستوى العالي لمدونيتها وكذا شتتها المرتفع.



المحطة الرابعة 1991



سنة بعد الزيارة إلى الصناعة الكمية قام أعضاء تعاونية كوباك باستيراد أرز من 500 عجلة من الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر من الدول الرائدة في هذا المجال الأمر الذي غير شكل جداري طرق الفلاحين إلى قطاع إنتاج الحليب من خلال تحقيق نسب عالية من الجودة الإنتاجية. لتكون تلك هذه المحطة قاعدة انطلاق مشروع وحدة إنتاج الحليب التي تطورت فيما بعد تحت العلامة التجارية «جودة»

30 سنة من التحدي

حكاية القيم التي ساهمت في صنع مسيرة النجاح

بعد مرور ثلاثين سنة على تأسيس تعاونية كوباك يصدر العدد الأول من هذه المجلة التي ستكون صلة وصل بين مختلف مجالات اشتغالها وجميع الشرائح المساهمة في نشاطات التعاونية من منتجين ومربي الماشية والمستخدمين والشركاء، في هذا العدد الأول سنحكي باختصار شديد قصة مسيرة طويلة امتدت لأزيد من ثلاثة عقود من الزمن كان ولا يزال عنوانها الأبرز التحدي ثم التحدي بقيادة رجل اسمه مولاي احمد الوليتي.



المحطة الأولى 1987

في منتصف ثمانينيات القرن الماضي تمت هيكلة مكتب التسويق والتصدير، الأمر الذي دفع العديد من الفلاحين إلى البحث عن بدائل جديدة حيث ظهرت مجموعات للتصدير مع بداية تحرير المصارف الخارجية إلى الخارج. وفي هذه الظروف اجتمع بضعة فلاحين واختاروا مولاي احمد الوليتي من أجل قيادة مسيرة نجاحهم وكانت أولى الخطوات بناء محطة لتعليق بمنطقة أيت إيزرة



المحطة الثانية 1988

في 20 يناير من سنة 1988 تم تأسيس تعاونية سوس لتخصيص نسل الإفارات في طرفية كانت الدولة قد أطلقت مشروعاً لدعم توحيد قطع الإفارات، أما بالنسبة لتعاونية كوباك فقد بدأت أصداء النجاح الذي تحقق على مستوى محطة التعليق تجد صدىها لدى الفلاحين، حيث أرغم الفلاحون مولاي احمد على ترأس هذه التعاونية الجديدة والتي عملت على خلق وحدات نموذجية في أفق تحقيق الإلتزام الذاتي من الأفرار من خلال برامج التخصيص الوراثي والتأطير التقني للفلاحين.

2005

المحطة السابعة



بعد تفكير عميق تم خلق وحدة مشتركة لتربية العجول والعجلات والتي جاءت في سياق تنمية سلسلة إنتاج الحليب وكذا زرع تطور تنمية سلسلة اللحوم حيث يجري تربية العجلات بشكل جماعي من أجل تخفيف أعباء تربية العجول والعجلات عن الفلاحين من أجل أن يتفادوا التطوير بالي عوامل الإنتاج الأخرى والتي وصلت طاقتها الاستيعابية اليوم 11 ألف رأس والتي كانت فيما بعد وحدة لتنمية سلسلة اللحوم الحمراء وخلق المجزرة التي تم الشروع فيها سنة 2015.



المحطة الثامنة 2015

من أجل استكمال حلقة الإنتاج كان من الضروري تلمين سلسلة اللحوم ليتم الشروع في بناء وحدة إنتاج اللحوم الحمراء التي بلغت طاقتها 200 رأس من العجول والأفارات في اليوم فيما يبلغ عدد الأبقار 800 رأس في اليوم إضافة إلى إحتوائها على وحدة لتطعيم اللحوم ووحدة للتحويل وأخرى لإنتاج اللحوم البيضاء تحت علامة تجارية "جودة" وبالرغم من التحديات والصعوبات التي يطرحها سوق اللحوم بالعالم بسبب غياب هيكلية تساعد على المنافسة والرفع من الجودة إلا أن تعاونية كوباك من خلال هذه العلامة التجارية تحتل مكانة رائدة في عالم إنتاج اللحوم والتي من شأنها خلق ثقافة استهلاكية جديدة للحوم الحمراء وفق معايير الجودة المخصوص عليها في التشريعات الدولية.

وتستمر قصة النجاح

بعد الجهود الجارية التي صاحبت تأسيس تعاونية كوباك والتطوير الذي قامت به في مختلف مجالات نشاطها، يبقى التحدي المطروح اليوم هو ضمان النمو ويطورة استراتيجية ناجحة لتعمل الأعضاء، والمستخدمين والزبائن على حد سواء في قلب اهتماماتها.

1993

المحطة الخامسة



لم تكن كمية الإنتاج ساعها تتجاوز ستة أطنان من الحليب يومياً إلا أنه ومع التطور الطبيعي لتعاونية كوباك كان من المفروض أن يتم خلق أول وحدة لتحويل الحليب والتي بدأت برتفع بشكل تدريجي، إلا أن هذا الإزقاع في الإنتاج كان أجد من موانعها من التنمية القفزية حيث تم وضع استراتيجية للتخليق الإصطناعي والتفدية وتأمين الميانيات الخاصة بالمشية وكذا التجهيزات والمكنة المتعلقة بإنتاج الحليب فضلاً عن التحويل والرعاية الصحية والوقاية من الأمراض المعدية لتتخلل تلك بكافة معالم الصناعات الغذائية كالمعامل في إنتاج الحليب بالعالم.

المحطة السادسة 1999



بغرض تخفيف ثقله الائتلاف على الفلاحين كان من الطبيعي أن تفكر تعاونية كوباك في إنشاء وحدة إنتاج الائتلاف في سياق البسط التصاعدي الذي سارت فيه. كان قراراً خلق نوع من التماثل بين المجهودات التي يقوم بها الفلاحون في مجال تنوع الائتلاف حيث تم خلق وحدة تركيب الائتلاف من أجل تزويد الفلاحين بأعلاف ذات جودة عالية من خلال مراعاة آخر المستجدات في مجال البحث العلمي المرتبط بالتغذية الحيوانية. وقد شكل إنتاج هذه الوحدة منعطفاً كبيراً في الإنتاجية وضمان الأمن الغذائي للأفراط لأعضاء التعاونية حيث تم تنظيم اليوم الأول لتربية الأفراط بسوس الذي كان مناسبة ليكتشف الفلاحون من أعضاء التعاونيات التغيرات الجديدة من أجل تحسين نسل الأفراط بمضيق خبار، دوليين مما تمكن إيجابياً على مستوى الفرونية.

لكن يمكن تقسيم حياة «كوباك» إلى مرحلتين:

1. كوباك: من تواضع البدايات...

بتاريخ 7 ماي 1987 اجتمع 39 فلاحاً لتأسيس تعاونية فلاحية أطلقوا عليها اسم «كوباك»، وتشتغل حالياً في إطار القانون المذكور أعلاه وتجمع بين الأصناف الثلاثة للتعاونيات المذكورة انسجماً مع نص القانون نفسه: «ويمكن للتعاونية أن تجمع بين أنشطة صنفين أو ثلاثة أصناف المذكورة أعلاه»

بدأت التعاونية بمجال تجميع وتسويق الحوامض والبواكر⁵، لتتوسع بعد ذلك إلى مجالات أخرى. كان سياق التأسيس موسومًا بمغرب ما بعد التقييم الهيكلي وإجراءاته. كتب لسان التعاونية «مجلة كوباك» عن تلك المرحلة: «في منتصف ثمانينيات القرن الماضي تمت هيكلة مكتب التسويق والتصدير، الأمر الذي دفع العديد من الفلاحين إلى البحث عن بدائل جديدة حيث ظهرت مجموعات للتصدير مع بداية تحرير الصادرات المغربية إلى الخارج، وفي هذه الظروف اجتمع بضعة فلاحين واختاروا مولاي أحمد الوليتي من أجل قيادة مسيرة نجاحهم، وكانت أولى الخطوات بناء محطة للتلفيف بمنطقة آيت إيعزة»⁶ بمدينة تارودانت جنوب المغرب

رغم أن المؤسسين المبادرين فلاحون فإن من كانوا على رأسهم لم يكونوا مجرد فلاحين، وهو ما أشار إليه الأستاذ علي هرماس في ورقة بحثية حول التعاونية بقول: «يقود السفينة رجلا من الجماعة نالا حظهما الوافر من التعليم والتعلم ما مكنهما من ولوج الوظيفة العمومية»، وكان صاحب الفكرة نفسه أحمد توفيق -إلى جانب كونه فلاحًا- «قاضيًا سابقًا وأستاذًا في كلية الشريعة بآيت ملول ورجل علم»

2. التحول إلى توسع مذهل

بدأت التعاونية محليًا في مدينة تارودانت، وحسب معطيات التعاونية على موقع «linkedin» تمكنت «من التطور من مجرد تعاونية بسيطة إلى مجتمع يعمل في أكثر من 100 بلدية ومنطقة، وهي اليوم رائدة في سوقها»⁷. ويمكن التأريخ لهذه المرحلة بسنة 1991 عندما قامت التعاونية بأول عملية استيراد لها: «استيراد أزيد من 500 عجلة من الولايات المتحدة الأمريكية... والذي غير بشكل جذري نظرة الفلاحين إلى قطاع الحليب من خلال تحقيق نسب عالية من الردودية والإنتاجية، لتكون بذلك هذه المحطة قاعدة انطلاق مشروع وحدة إنتاج الحليب التي تطورت فيما بعد تحت العلامة التجارة «جودة»»⁸.

من تلك البدايات المتواضعة التي اقتصر على 39 فلاحًا، يقدم موقع «التعاونية الفلاحية كوباك» أرقامًا معبرة: 72 تعاونية عضوًا و24 ألف مزارع و9500 موظف مباشر⁹:



كما تطور التخصص انطلاقًا من تجميع وتسويق الحوامض والبواكر ليشمل سلاسل إنتاج وتسويق الألبان ولحوم الأبقار والأغنام والفواكه والخضراوات الحمضية والأعلاف¹⁰.

أسفله أرقام إنتاج سنة 2018 كما وردت في العدد الأول من «مجلة كوباك»:

كوباك في أرقام



اللحوم

2581 طن
من اللحوم
موجهة للأسواق

حققت وحدة إنتاج اللحوم التابعة لتعاونية كوباك رقما إنتاجيا تجاوز 8500 رأسا من العجول والابقار أي ما يناهز تقريبا 2504 طن من اللحوم. كما تم استقبال 5931 من رؤوس الاغنام، أي ما يناهز 77 طن من اللحوم.



حوامض

120000 طن
من الصادرات

بلغ حجم صادرات تعاونية كوباك من الحوامض خلال موسم 2016 / 2017 120000 طن مقابل 56000 طن بالموسم الفلاحي لسنة 2015 / 2016. وقد شهدت عائدات الصادرات في اتجاه الاسواق الرئيسية انتعاشا ملحوظا.



الحليب ومشتقاته

إرتفاع الإنتاج إلى 948 طن يوميا

سجل إنتاج الحليب زيادة مهمة في سنة 2016 / 2017 وذلك بفضل التطور الذي عرفه مستوى التغذية والمصاحبة التقنية للقطيع. ليقتفز الإنتاج من 464 طن/ اليوم في سنة 2007 إلى 948 طن/ اليوم في سنة 2016 / 2017



كوباك إجتماعية

تتمثل المهمة الرئيسية لجمعية الأعمال الإجتماعية في تقديم خدمات مميزة للمستخدمين داخل تعاونية كوباك والمتمثلة أساسا في تسهيل الولوج إلى السكن والتمويلات وكذا مصاحبتهم في الاقتراح والمسرات وكذا في الأحران والفترات الصعبة، إضافة إلى أنشطة ذات طابع ثقافي ورياضي وكذا تربوي.



بواكر

60000 طن
منتجة

عرف موسم 2016 / 2017 ارتفاعا ملحوظا في ما يخص الإنتاج وذلك بنسبة 10 بالمائة ليصل هذا الإنتاج إلى ما يقدر بـ 60.000 طن تم تصدير ما قدره 36000 طن منها.

عصير الليمون

40000 طن من الفواكه تم تحويلها

تم تسجيل ارتفاع كبير في كمية الفواكه التي تم تحويلها خلال موسم 2016/2015 مع تسجيل ارتفاع كبير يصل إلى 40000 طن خلال موسم 2017/2016.

3. تعاونية أم شركة؟

لقد بدأت كوباك كـ«تعاونية» ولا زالت كذلك «نزريرا/ قانونيًا»، لكنها تحولت عمليًا إلى شركة قائمة الذات، فميوعة القانون المنظم للتعاونيات الذي يضم في إطارها حتى تلك التي «تشغل أجراء» و«يزودها أعضاؤها بمنتجات قصد بيعها للأغيار بعد تحويلها»، يتيح لها الاشتغال كشركة ولكن مع الحفاظ على طابعها التعاوني. شكل هجين لكن مع غلبة الطابع الشراكي، أوضحه بشكل يّئن الحسن عابدي، مدير تنفيذي للإدارة المالية بقول: «لقد استطاعت الإدارة المالية للتعاونية الفلاحية كوباك أن تجمع بين التجارب الرائدة عالميًا في مجال إدارة المالية وكذا المسار التراكمي للتجربة الذاتية للتعاونية، من أجل خلق نموذج متفرد...»¹¹.

تحافظ الشركة على الهيكل الشكلي للتعاونيات إذ تعقد جمعًا عامًا كل سنة يضم المخترطين، لكنها علميًا تشتغل بهيكل إداري شبيه الذي في الشركات. للشركة رئيس، هو نفسه منذ تأسيسها (مولي أمحمد الوليتي)، ومدير عام، ومدير تنفيذي للإدارة المالية، ومدير أقطاب الإنتاج حسب التخصص، ولديها مدير للتسويق والتواصل، ومشرفون تجاريون بوحدة التوزيع في مدن تواجدها...

4. العلاقة بالدولة

تدعم التعاونية كل مخططات الدولة في القطاع الفلاحي. وتقوم مجلتها بنشر ملصقات إشهارية لتلك وعلى رأسها مخطط «الجيل الأخضر -2020-2030»، الذي جاء كتكملة لسلفه «مخطط المغرب الأخضر -2008-2017»، وهما مخططان موجهان إلى إنماء الزراعة التصديرية المعتمد على الفلاح المستثمر الكبير

وخصص رئيسها عموده الذي ينشره في مجلة التعاونية لتحية الملك على ما أظهرته البلاد من قدرة على إدارة الأزمة خلال فترة الجائحة، «حيث أبانت الدولة بمختلف مصالحها عن جاهزيتها لمواجهة كافة التداعيات التي خلفتها الأزمة الصحية»¹².

ولكن، لأنها حديثة النشأة وتحتفظ بطابعها التعاوني، عكس شركة «سنترال مركز الحليب» ذات المنشأ الاستعماري والتابعة لشركة فرنسية، فإن تعاونية كوباك قد أفلتت من آثار مقاطعة السلع الاستهلاكية الواسعة التي شهدتها البلاد سنة 2018، بل واستفادت منها لإزاحة شركة «سنترال مركز الحليب» من قسم مهم من السوق. وفي السابق أدت المنافسة هذه إلى ضغوط من شركات أخرى، وعلى رأسها شركة «سنترال»، التي توجت بفرض الضرائب على التعاونيات الكبيرة واعتبارها كالشركات تؤدي نفس الضرائب من خلال قانون المالية لسنة 2005¹³.

5. سياسة إعلامية حديثة

تقدم لنا السياسة الإعلامية للتعاونية صورة عن شركة تشتغل بآليات هي نفسها التي تشتغل بها الشركات في كل بقاع العالم.

تملك التعاونية ترسانة حديثة للتواصل الداخلي (مع أعضائها وأجرائها) والخارجي (التسويق والدعاية). لديها موقع محترف باللغتين العربية والفرنسية: <https://www.copag.ma/ar>. كما تصدر التعاونية «مجلة كوباك»، صدر أول أعدادها في إبريل 2018 بمناسبة مرور 30 سنة على تأسيسها

وفي جمعها العام السنوي المنعقد سنة 2022 أكدت على أن «الرقمنة أصبحت خيارًا إستراتيجيًا بالنسبة للتعاونية الفلاحية كوباك، مشددًا على أن الانتقال الرقمي سيمكن التعاونية من المضي قدمًا في عالم سريع التغير»¹⁴.

6. جرف الفلاح الصغير

كتب رئيس التعاونية في العدد الأول من «مجلة كوباك»: «منذ إنشائها أخذت تعاونية كوباك على عاتقها مهمة توفير شروط متكاملة لتطوير فلاحية مدمجة ومستدامة قادرة على خلق القيمة المضافة»، وورد في «شهادة فلاح» نُشرت في نفس العدد أن التعاونية أسست كمشروع «يجمع الفلاحين ويحميهم من بطش الوسطاء وجشع محطات التلفيف، فكان الضحية الأول هو الفلاح الصغير الذي كان يعتبر الحلقة الأساس التي تقوم عليها كل سلاسل الإنتاج، لكنه الأضعف والأفقر بين كل الحلقات»¹⁵. لكن وقائع عديدة تثبت أن «التعاونية» تحولت إلى ما ادعت في البداية تجنبه

أنجزت جمعية «أطاك المغرب - عضو الشبكة الدولية للجنة الدولية من أجل إلغاء الديون غير الشرعية» دراسة ميدانية، وضمنها شهادات لفلاحين صغار حول تحول أوضاعهم قبل وبعد التحاقهم بالتعاونية/ الشركة

«يتبين من خلال نتائج البحث، أن أغلب الفلاحين المستجوين بمركز سوس «وتحديداً بتين الطالب سالم» غيروا نشاطهم الزراعي أو قلصوه في اتجاه نشاط تربية الأبقار (لا يتجاوز عددها في الغالب خمسة رؤوس). يعد هذا النشاط عمومًا، الذي حفزته مجموعة رأسمالية كبيرة (تعاونية الحليب «كوباك») عنواناً لصيرورة تفكير الفلاحين بكامل المنطقة، حيث اضطر عديد منهم إلى مزاولته بعد أن أفلسوا في مجال زراعة الخضراوات¹⁶.

«ويلخص تحول نشاط مزارع صغير، اسمه حفيظ، صيرورة تفكير الفلاحين الصغار بالمنطقة، كان الفلاح حفيظ يركز نشاطه على زراعة ستة هكتارات بخضراوات متنوعة وحبوب. كان يوجه غلته من الخضراوات إلى محطات التلفيف العائدة إلى أقطابا لتصدير تسيطر عليها مجموعات رأسمالية كبرى. لم يستطع حفيظ الصمود في ظل شروط الإنتاج والتسويق التي تفرضها الزراعة التصديرية، وفضل التخلي عن زراعة أرضه لتجنب السقوط في دوامة المديونية. غير حفيظ نشاطه نحو تربية الأبقار لبيع الحليب لتعاونية «كوباك»، عله يستطيع الحصول على دخل يكفي لإعالة أسرته. ظل حفيظ مديناً لتعاونية «كوباك» لسنوات، بحيث لم تكف مداخل مبيعات حليب بقراته الخمس لتصفية ديونه لدى التعاونية. اضطر الفلاح حفيظ، أخيراً، إلى بيع البقرة تلو الأخرى لتسديد تكلفة العلف... وجزء من مديونيته. واضطر، مجدداً، إلى التخلي عن هذا النشاط، وهو لا يمارس حالياً أي عمل فلاحى»¹⁷.

7. عُمال ومُستخدمو التعاونية: «موارد بشرية»!

أكد رئيس التعاونية، أمحمد الوليتي، في سياق موضة التركيز في الأهداف الاجتماعية الذي فرضه سياق جائحة كوفيد19- على «أن نظرنا الإستراتيجية للمستقبل ترتكز على... البصم على الهوية الاجتماعية للتعاونية الفلاحية كوباك»¹⁸. كما كتبت «مجلة كوباك»: «تهدف كوباك - أكاديمي إلى تطوير مهارات الموارد البشرية للتعاونية الفلاحية كوباك، وذلك من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية للتعاونية... قصد الرفع من مستوى مهارات الأطر والتقنيين والانفتاح على تجارب جديدة وتقوية حوافزهم»¹⁹.

تحدثنا إلى عامل²⁰ مكلف بتوزيع منتجات التعاونية بمدينة أكادير وأخبرنا بما يلي: «إن ما تقصده التعاونية بـ«رفع مستوى المهارات» هو ما يُطلق عليه في أدبيات «التدوير الحديث للموارد البشرية» آليات اعتصار أكبر مردود من العامل، حيث يُربط جزء مهم من أجورنا بالمجهود الذي يقدمه، أو ما يُطلق عليه «العمل بالأهداف les objectifs»... لقد أصبح العاملون -خصوصاً الموزعين- مسؤولين عن مبيعات الشركة، نتعرض لضغوط شديدة كي نعود إلى مركز التحميل بشاحنات فارغة، بعد توزيعها -وأحياناً بأساليب أقرب إلى الاحتيال والابتزاز- على نقط البيع لأصحاب «الحوانيت»/ البقالة»

ولضمان نجاح هذا الأسلوب أثبتت وقائع عديدة أن التعاونية تلجأ إلى محاربة العمل النقابي، إذ تلجأ إلى طرد كل من تجرأ على تأسيس مكتب نقابي. كتبت «دائرة الإعلام والتواصل» التابعة للاتحاد المغربي للشغل، النقابة التي ينتظم في إطارها أجراء التعاونية: «في سابقة خطيرة تم طرد أعضاء من المكتب النقابي لعمال شركة كوباك لمشتقات الحليب بتارودانت، مباشرة بعد تأسيس العمال لمكتب نقابي تابع للاتحاد المغربي للشغل»²¹، وليست هذه إلا حالة واحدة من عديد حالات الطرد

8. مسؤولية اجتماعية؟

طبعًا، تركز تعاونية كوباك في الطابع الاجتماعي لأعمالها، وقد ورد في فقرة تحت عنوان فرعي «في الأفراح والأحزان» ما يلي: «تسعى «كوباك اجتماعية» إلى مساندة المستخدمين وذوهم في أفراحهم من خلال تخصيص منح للأزواج... وتساند جمعية الأعمال الاجتماعية المستخدمين في أحزانهم من خلال التكفل بالحالات الصحية المستعصية وغيرها من المساعدات... وأيضًا تقديم الدعم المادي لهم عند بداية كل موسم دراسي وتقديم دروس الدعم والتقوية لفائدة أبنائهم قصد الرقي بمستواهم الثقافي»²².

لكن الجدير بالذكر أن كل مقاولات المغرب أصبحت تتبنى مفهوم «المسؤولية الاجتماعية للشركات»، خصوصًا بعد الاحتجاجات الكبرى في مناطق الجنوب الشرقي/ إيميضر ضد شركة «مناجم». وقد لجأت الشركات إلى تبني مفهوم «المسؤولية الاجتماعية» لتحسين صورتها في وجه المحيط الاجتماعي ولدفع استهدافها بمعارضات شعبية. صدر «ميثاق المسؤولية الاجتماعية» الذي عرف هذه الأخيرة بـ«مجموعة من القواعد المنظّمة لدورها في تحمل مسؤوليتها تجاه تأثيرات أنشطتها وقراراتها على المجتمع بالمساهمة في التنمية المستدامة من خلال اتباع مبدأ الشفافية والسلوك الأخلاقي للمنشأة»، واعتمد الاتحاد العام لمقاولات المغرب «جائزة المسؤولية الاجتماعية للمقاولات». إلا أن هذه المسؤولية لا تتعدى أنشطة دعم محدود ومستهدف، ويندرج بذلك في إطار ما يُطلق عليه البنك الدولي «حماية اجتماعية»، أي استهداف الفقراء والعاملين - بإجراءات تخفف من وقع سياساته المفروضة، مثل تحمل كلفة علاج الحالات المستعصية أو كلفة شراء لوازم الدراسة في دولة تخلت عن مجانية وعمومية خدمات الصحة والتعليم... إلخ

9. صديقة للبيئة؟

كتب رئيس التعاونية أمحمد الوليتي في «مجلة كوباك»: «نظرتنا الاستراتيجية للمستقبل تركز على صناعة صديقة للبيئة»²³. لكن أخبارًا عديدة واردة في مواقع إلكترونية محلية تشير إلى استياء واحتجاجات سكان الموطن الأصلي لنشوء التعاونية: «آيت إيعزة» بتارودانت

«أطلقت فعاليات جمعوية بآيت إيعزة بإقليم تارودانت حملة لجمع توقيعات ضد تعاونية «كوباك» جراء التلوث الذي تسبب فيه التعاونية. وتعرف مدينة آيت إيعزة كارثة بيئية تتمثل في تواجد حفر للمياه الآسنة، بفعل تصريف التعاونية للمياه العادمة مباشرة في أحد الأودية، بالإضافة إلى انتشار الروائح الكريهة»²⁴.

«تواجه أكبر تعاونية بالمغرب لإنتاج الحليب ومشتقاته «كوباك» أزمة حقيقية، بينها وبين ساكنة منطقة آيت إيعزة بتارودانت، حيث توجد محطتها الإنتاجية، هذه الأيام، بسبب إشكالية ما سببه إنتاج التعاونية من «تلوث» لم يعد السكان يتحملونه لاستئناف العيش بالمنطقة... وقالت مصادر إن اجتماعًا حاشدًا لسكان ومنتخبي مدينة آيت إيعزة بتارودانت، سيعقد مساء اليوم الثلاثاء، من أجل التداول حول مشكلة «التلوث» الذي سببته تعاونية «كوباك» وعدم امتثال مسؤوليها لشروط احترام البيئة بحسب دفتر التحملات»²⁵.

خاتمة

طوال عقود شكلت تعاونية كوباك نموذجًا لنجاح العمل التعاوني، لكن تحولها إلى شركة رأسمالية (بأرباح ومساهمين) ينزع عنها مع المدة ذلك الطابع المؤه به منذ تأسيسها. انطلقت المؤسسة كتعاونية تضم فلاحين متوسطين يسعون إلى ضمان حصتهم في السوق، وتحولت مع المدة إلى شركة كبرى بهيكل تنفيذية وكوادر شبيهة بتلك الموجودة في عالم المقاولات، وجرى الحفاظ شكليًا على الهياكل التعاونية (الجمع العام السنوي الذي يحضره جميع المنخرطين). بينما ظل الفلاح (الصغير بالخصوص) مجرد مزوّد لـ«التعاونية/ الشركة» بالمادة الأولية (الحليب، اللحم...) ومشتريًا للمدخلات (الأعلاف والأسمدة والبذور)، أما عمال ومستخدمو الشركة فيصدّق عليهم ما يصدّق على عمال جميع المقاولات الأخرى: اشتغال في إطار قانون شغل في غاية المرونة ومحاربة فعلية للعمل النقابي

هوامش

- 1 2015، المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، «رأي- الاقتصاد الاجتماعي والتضامني» رافعة لنمو مدمج»، إحالة ذاتية رقم 19 / 2015، ص 7.
- 2 القانون رقم 112.12 المتعلق بالتعاونيات الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.14.189 صادر في 21 نوفمبر 2014.
- 3 أبريل 2021، «مجموع المذكرات للموضوعات والرهانات والمشاريع المقترحة في إطار النموذج التنموي الجديد - الملحق رقم 2»، اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، ص 59.
- 4 المجلس الاقتصادي والاجتماعي... مرجع مذكور، ص 8.
- 5 <https://tinyurl.com/54ypukbk>.
- 6 «مجلة كوباك»، العدد 12، ماي- يونيو 2022.
- 7 <https://tinyurl.com/gb9dt7ad>.
- 8 «مجلة كوباك»، العدد الأول - إبريل 2018.
- 9 <https://www.copag.ma/index.php/ar>.
- 10 <https://www.copag.ma/ar/savoir-faire>.
- 11 «مجلة كوباك»، العدد 19 - يوليوز- غشت 2023.
- 12 «مجلة كوباك»، العدد 12، ماي- يونيو 2022.
- 13 رجاء كساب، «تجارب وبدائل عملية من المغرب للاقتصاد التضامني والإدارة الذاتية الصفحة: 132، ضمن كتاب الاقتصاد البديل في المنطقة العربية المفهوم والقضايا، دار رواقد الطبعة الأولى 2017.
- 14 «مجلة كوباك»، العدد 12، ماي- يونيو 2022.
- 15 «مجلة كوباك»، العدد الأول - إبريل 2018.
- 16 يوليوز 2018، جمعية أطاك المغرب، «دفاعاً عن السيادة الغذائية بالمغرب - دراسة ميدانية حول السياسة الفلاحية ونهب الموارد»، الطبعة الأولى.
- 17 المرجع نفسه.
- 18 «مجلة كوباك»، العدد 12- ماي- يونيو 2022.
- 19 «مجلة كوباك»، العدد 19- يوليوز- غشت 2023.
- 20 تحدثنا إليه يوم فاتح ماي على هامش تخليد اليوم العالي للعمال، وطالب بعدم الكشف عن اسمه.
- 21 <https://tinyurl.com/gb9dt7ad>.
- 22 «مجلة كوباك»، العدد 1- إبريل 2018.
- 23 «مجلة كوباك»، العدد 12، ماي- يونيو 2022.
- 24 13- 05- 2019، <https://machahid.info/194363.html>.
- 25 22- 05- 2019، <https://ahdatsouss.ma/119240.html>.



منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives

منتدى البدائل العربي للدراسات الاجتماعية

بناية وست هاوس 3، ش جان دارك الحمراء، مكاتب أوليف جروف، بيروت، لبنان.



+961 76 386 477



info@afalebanon.org



<https://www.afalebanon.org/>

هذا المصنف مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي نسب المصنف - غير تجاري - منع الاستقاق 4.0 دولي.